

## سياسيات السرد لدى زكريا تامر

خالد حسين<sup>(1)</sup>

لا شك في أن السياسة ماثلة في تضاريس الفعل الأدبي حتى وإن تجلى في قصيدة «حب» فسوف يجري الحديث عن سياسات الحب؛ ولذلك لا يحتاج القارئ إلى كبير جهد في ملاحظة انطواء الفعل السردى لدى القاص السوري زكريا تامر على سياسة (ما) حاضرة بقوة في سروده القصصية. مع الإشارة أن هذه السرود سوف تصوغ سياساتهما في فعل جمالي؛ أي أنها ستبوح «السياسة» بطريقتها الخاصة. وفي هذه النقطة تحديداً يحدث التمازج بين الفعل الأدبي والفعل السياسي (بالمعنى التقني للكلمة في الحقل اليومي) في ممارسة السياسة عبر لجوء الفعل الأدبي إلى التشفيرات والترميزات لقول سياسة ما. فلا خلاف -والحال هذه- أن الأدب شكل من أشكال السياسة كما يذهب المنظر الفرنسي جاك رانسيير حيث يكتب: «يفترض ذلك أن السياسة لا تعني ببساطة ممارسة السلطة والصراع عليها بل التشكيل المحسوس لعالم مشترك وللذوات التي تسكنه ولقدراتهم: سياسة الأدب»، وهذا «التشكيل المحسوس» هو الذي يهمننا ويعكس دلالات عنوان هذا التقديم: «سياسات السرد لدى زكريا تامر»؛ وهكذا فالمصطلح وفق هذه الاستعمال يتمفصل إلى قول «العالم» والطريقة التي يقول بها الكاتب هذا «العالم».

ويمكننا القول إن سياسات السرد لدى القاص زكريا تامر تتبلور حول و/أو على استراتيجية أساسية تقوم بتنشيط «العلامة اللغوية» بين القطبين (الاستعاري) حيث يستعر الدال الشعري؛ ليقترب السرد القصصي من فضاءات الشعر النثري و(الكنائي) حيث يقترب الخطاب من حرارة الواقع. وبمعنى آخر يسعى القاص إلى خض الواقع بالفتازيا؛ ليمخض عن ذلك واقع أدبي ليس هو بالواقع ولا بالفتازيا، وإنما هو هذا الجمع بينهما: لا فانتازيا. لا واقع أو الواقع والفتازيا معاً، وهو المكان الملائم لعمل سياسات الاخ(ت)لاف على صعيد هوية السرد القصصي لدى زكريا تامر. فهذه السياسات تقوم على حدثي «المباينة» أي تمايز هذا الفعل السردى في تبئينه و«الإرجاء» -بالمعنى التفكيكي- الذي يسمح للخطاب بالهرب من المعنى المحدد، واللواذ بالظلال والإيماءات والإيحاءات.

(1) أكاديمي وناقد سوري، مهتم بالنظرية النقدية الحديثة وما بعدها.

ويمكن لنا تحديد الفعل السردي لدى القاص إلى سياسات التناص التي يلجأ إليها زكريا تامر، حيث تضح قصصه بالحوار والتفاعل مع الخطابات التراثية والشعبية ومع خطابات الآخر. وما يميز هذا التفاعل التناصي تلك التحولات المثيرة التي يتعرض لها النص المتناص معه في عملية القص من معارضة ومحاكاة وسخرية كما في سرود: (عبد الله بن المقفع، عنتره العبسي، نبوءة كافور الأخشيدي، حكايات جحا الدمشقي...إلخ). ثم تأتي خاصية خطرة. توسم السياسات التي يلجأ إليها القاص، وهي شعرنة الجملة السردية، وهذه غالباً ما تتجلى في استراتيجيات العنونة التي تؤكد السمة العبر. نصية للكتابة السردية لدى زكريا تامر، حيث تقترب عناوين مجموعاته أو قصصه من التسمية الشعرية: (صهيل الجواد الأبيض، ربيع في الرماد، نداء نوح، دمشق الحرائق، قرنفة للأسفلت الأبيض، الأغنية الزرقاء الخشنة، لا غيمة للأشجار ولا أجنحة فوق الجبل...إلخ). وهذه الخاصية تمارس سياسة المراوغة، إذ تختل المتلقي في انتمائها الأجناسي فهي أقرب إلى الكتابة الشعرية منها إلى الكتابة السردية، وكأن زكريا تامر بهذا النزوع الشعري يفكك الانغلاق الأجناسي للشعر، ويزج به في أتون السرد، ليتخلى الشعر عن استقرائته ويكون من حق الجميع.

على أن سياسة تفكيك الواقع عبر السرد تمنح الفعل السردي لدى القاص قوة دلالية لتعرية السلطة حيثما تتموضع، ليس فقط السلطة السياسية، وإنما السلطة بالمطلق: سلطة المجتمع، سلطة الأعراف، سلطة الأب، سلطة الزعيم، سلطة المرأة...إلخ، وتمثل مجموعة «الحصرم» مثلاً واضحاً على سياسات تفكيك الواقع اليومي، وفضحه، والكشف عن الصدوع والفجوات التي تفتك بالمجتمع.

في هذا الملف الموسوم بـ«سيمائيات السرد القصصي لدى زكريا تامر» يحاول رهط من النقاد والناقدات -من سورية تحديداً- تقديم مقاربات متنوعة للكون السردي لشاعر القصة القصيرة زكريا تامر عبر استراتيجيات مختلفة في محاولة للقبض على أسرار القص وبنياته وكيفية تفكيك القاص لعوالم الواقع والتراث والفانتازيا لبناء سيمائيات عالمه السردي عبر تشفيرات وترميزات أطلقنا عليها سياسات السرد. تتحدد جغرافيا الملف بخمسة محاور يجري فيها معالجات مهمة لسيمائيات السرد من حيث العنونة والفواتح والخواتيم والتحليل النصي في المحور الأول ثم سحر السرد وبلاغته فلسفةً في المحور الثاني. أما المحور الثالث فيدور حول سياسات التناص والتجديد القصصي لدى زكريا تامر. والمحور الرابع يدور حول الرعب والسلطة وسيمياء الأنثى، والمحور الخامس يقدم محاولتين في التفكيك: تفكيك الواقع (عوالم العجيب، الغرابة والسخرية)، وأفق نقدي لتفكيك بعض الشائعات التي تدور حول عوالم زكريا تامر.